بهرا الضياء
العدد ٣٧٣ - الخميس ٩ تشرين الثاني ٢٠٠٦م- ٦٧٥٦ آ
Bahra No. 373 Thu. 9 Nov. 2006

هل ستعيد روسيا نفوذها في الشرق الأوسط؟

سعد حسين

على إثر تفكيك الاتحاد السوفياتي بدءا من عام ١٩٨٩ سبقها تصدعات في جبهة المعسكر الاشتراكي وبروز نزعة استقلالية تدعو الى التخلي عن النهج الشيوعي والتحالف مع الاتحاد السوفياتي، هذه الحركة ظهرت أولا في بولونيا العضو الفاعل في حلف وارشو المنحل ثم انتشرت في بقية دول اوربا الشرقية التي سقطت معاقلها الشيوعية الواحدة تلو الاخرى دون ان تحصل أنظمتها على أي دعم من قادة الكرملين.

هذه التغييرات كشفت عن ستراتيجية جديدة اعتمدها القادة الروس رغم وجود معارضة شديدة لها آنذاك.. وتقضي بسحب روسيا يدها من جميع التزاماتها السياسية والاقتصادية والعسكرية مع حلفائها في اوربا الشرقية والعالم الثالث بما في ذلك منطقة الشرق الأوسط الحيوية والتي كانت أكبر سوق لمبيعات السلاح الروسي، تبعها تفكيك الدول المنظمة في الاتحاد وعددها "١٥" دولة معظمها كان يعتمد على الدعم المالي المركزي للدولة السوفياتية فضلا عن ان معظمها كان يعيش في حالة متخلفة عن الجمهوريات الشمالية للاتحاد السوفياتي "لتوانيا- استونيا- لاتفيا".

نجم عن التغييرات التي طرأت في الاتحاد السوفياتي تخلخل خطير في ميزان القوى العالمية لصالح الولايات المتحدة واوربا الغربية التي باتت تتخذ القرارات وتتدخل في الشؤون الداخلية للدول وفرض ارادتها دون وجود الرادع التقليدي الذي كان يعدل من مسار المركب العالمي ويمنع غرقه أو تململه في المحيط الدولي لأربعة عقود خلت.. هذا الوضع أدى الى ان تكون دول العالم الثالث المتضرر الوحيد تقريبا لا سيما مجموعة الدول التي كانت تحسب كصديقة للمعسكر الشرقي التي سرعان ما وقعت في أزمات سياسية وأمنية داخلية ومواجهات عسكرية خارجية سقطت خلالها عدة أنظمة موالية لموسكو سابقا.

أما بقية الأنظمة فقد اضطرت الى اجراء تغييرات في سياساتها تجنبا لأية احتمالات قد تقود الى زوالها أو المساس باستقلال وسيادة دولها في ظل وجود عالم يعيش اليوم على ميزان احادي القوة.

يعتبر عام ١٩٩١ الذي شهد حرب الخليج الثانية مؤشرا قويا لانحسار وتراجع النفوذ الروسي في الشرق الأوسط والخليج العربي أمام نمو وتصاعد للنفوذ الاميركي- البريطاني الذي فرض ارادته على دول المنطقة وأقام فيها القواعد الجوية والبحرية والبرية.. منطقة جغرافية حيوية كان حكام موسكو منذ عهد القياصرة يعتبرونها ستراتيجية ومهمة للغاية ولا يترددون في الدخول في مواجهة مسلحة في حال احتلالها أو اخضاعها من قبل احدى القوى العالمية الكبرى.

يرى المراقبون ان تاريخ سقوط الكتلة الشرقية أو الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفياتي بدأ منذ تولي الرئيس الأسبق ميخائيل غورباتشوف السلطة، حيث جرى تطبيق برنامج سياسته الجديدة والمستقبلية لروسيا من خلال التخلي عن الالتزامات الثقيلة الداخلية والخارجية التي كانت ترهق ميزانية الدولة السوفياتية ويؤخرها عن ملاحقة تطور القدرات العلمية والتكنولوجية الاميركية والغربية خاصة في مجال الفضاء والتسليح الالكتروني.

عليه فإن الاقدام على هذه الخطوة أسفر عن استقلال جمهوريات تعاني أساسا من التخلف وتعتمد على موارد نظيراتها في الاتحاد السوفياتي وان قطع الصلة بها ومنحها الاستقلال قد وفر على روسيا عشرات المليارات من الدولارات التي كانت تنفق سنويا على هذه الدول وكذلك دول المنظومة الاشتراكية.

بعد تصاعد التيارات الليبرالية على المسرح السياسي الروسي في بداية التسعينات من القرن الماضي ووصول الرئيس يالتسين الى منصب الرئاسة، واصلت السياسة الروسية خطواتها السريعة لتعزيز أركان النظام الليبرالي في البلاد والانفتاح والسير بخطى متوازية مع النهج الغربي وتجنب أي تصادم في المصالح الاقتصادية والمواقف السياسية وهذا ما اثبتته الأحداث لاحقا عندما فضل القادة الروس عدم التدخل لمنع الضربة العسكرية التي وجهتها الولايات المتحدة وحلفائها ضد العراق في عام ١٩٩١ ثم ضد يوغسلافيا الشيوعية ولاجل التأكيد على المضي في تطبيق هذه السياسة، فككت روسيا قواعدها العسكرية في الدول الصديقة خاصة في كوبا وانهاء التحالف العسكري معها الذي وقع بين البلدين في عام ١٩٨٩ ولم يدم طويلا.

لقد ادى استحواذ التيار الليبرالي على السلطة في موسكو الى اضعاف دور الجيش وابعاده عن المسرح السياسي بعد فشل المحاولة الانقلابية ضد الرئيس غورباتشوف، فأصبح الطريق سالكا أمام القيادة السياسية لتعزيز علاقاتها مع الغرب على مختلف الصعد ولعل الاتفاق الذي ابرم في موسكو وواشنطن حول ما يسمى بمبدأ الشراكة أشبه ما يكون بنوع من التحالف والتفاهم حول تقاسم الادوار وما يمكن ان يلعبه أي طرف على المستوى الدولي دون ان يلاقي معارضة الطرف الاخر.

لا يعرف ما هو الثمن المقابل الذي حصلت عليه روسيا من سياستها الجديدة ولم يكشف النقاب عن حجم التعويضات والامتيازات المقدمة من الولايات المتحدة الى روسيا جراء التفرد والتحرك العسكري خاصة في منطقة الشرق الأوسط التي تعد أكثر المناطق حيوية في العالم.. سيما وان من نتائج هذا التفرد هو تراجع المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية الروسية في هذه المنطقة التي كانت أكبر سوق مستوردات السلاح الروسي متمثلة بالعراق وسوريا ومصر والسودان وليبيا واليمن اضافة الى ايران.

أما على الصعيد السياسي والتحرك الدبلوماسي، فقد سلكت السياسة الروسية نهجا اتسم بالبرود والميل نحو الحياد تجاه القضايا التقليدية الساخنة في الشرق الأوسط وفي مقدمتها القضية الفلسطينية والصراع العربي- الاسرائيلي، مما جعل الأنظمة العربية في حالة احباط وبأس دفعها لتغيير علاقاتها مع روسيا والتقارب تدريجيا نحو الولايات المتحدة حتى ان بعض من هذه الدول تفضل التعاون العسكري مع الولايات المتحدة سواء باستبدال أنظمتها التسليحية أو من خلال السماح لها باقامة قواعد أو تسهيلات عسكرية أو المشاركة في العمليات الحربية مثلما جرى خلال حربي الخليج الثانية ١٩٩١ والثالثة عام ٢٠٠٣.

بشكل عام يرى البعض ان الموقف الروسي في الشرق الأوسط اضمحل الى درجة فقد تأثيره القوي واصبح اليوم يأتي بعد الموقفين الفرنسي والصيني، كما لم تعد روسيا قادرة على توريد السلاح الى الأسواق العربية والآسيوية دون حصول اذونات من الولايات المتحدة بما في ذلك الأسلحة التقليدية، اما عن التعاون الاقتصادي فإن الدول العربية والآسيوية في الشرق الأوسط وشمال افريقيا باتت تفضل المنتجات الغربية واليابانية والآسيوية التي تفوق جودتها البضائع الروسية.

بالتأكيد فإن تغير الأوضاع وما سببته المتغيرات السياسية الروسية على الصعيد الدولي ليست بعيدة عن أذهان القيادات وكبار الساسة الروس وأن المعارضين لسياسة الانكماش والتقوقع تجاه التفاعلات الدولية قد شعروا بحجم الأضرار البالغة التي لحقت بروسيا وهيبتها كدولة عظمى كان يحسب لها ألف حساب خاصة في أنشطة الأمم المتحدة وممارسة حقها في استخدام الفيتو ومشاركتها في صنع القرارت الدولية. فضلا عن ذلك تشكو الصناعات الروسية من الكساد نتيجة فقدان روسيا لاسواقها الخارجية ويأتي في مقدمتها منتجات الصناعات العسكرية. لهذه الأسباب وغيرها ربما تعيد روسيا النظر في مجمل سياساتها الخارجية وتحالفاتها واستعادة هيبتها كقوة عظمى لها ثقل يعيد حالة التوازن الدولي الى سابق عهدها، بلا شك ان احياء الموقف الروسي في الشرق الأوسط والخليج العربي سيساهم بصورة غير مباشرة في تقوية الموقفين الفرنسي والصيني في مواجهتها للنفوذ الاميركي البريطاني ولكن هل ستبقى الولايات المتحدة مكتوفة الايدي؟، وهل ستسمح بعودة النفوذ الروسي الذي يمكن ان يفقد واشنطن ما حققته من مكاسب.

ان استعادة النفوذ الروسي بحاجة الى خطوات سياسية جادة وتنطلق من موقع القوة ويعتقد البعض من المحللين ان خطوات روسية بدأت تلوح في الأفق وبدأ العالم يسمع تصريحات لمسؤولين روس تعكس وجهات نظر مختلفة عن الولايات المتحدة منها الموقف الروسي المنحاز الى جانب ايران فيما يتعلق بملفها النووي وكذلك عدم ادراج حزب الله ومنظمة حماس في قائمة المنظمات الارهابية التي تصدر عن الحكومة الروسية وكذلك موقفها المعتدل من الملف النووي لكوريا الشمالية.

ولا ندري لحد الآن، هل ان نقطة الانطلاق لقادة الكرملين قد بدأت لاستعادة نفوذها في الشرق الأوسط والعالم؟، أم انها محاولة اخرى تستهدف الحصول على مكاسب مادية لقاء التزام السكوت مثلما حدث ابان حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١؟.

الجهل والحرية..!

د. مراد الصوادقي*

"وفي الجهل قبل الموت موت لأهله".. "إذا اجتمعت الحرية مع الجهل فأنها تصنع قطيعا من الوحوش البشرية السابغة الشرسة".

الجهل يهبط بالإنسان إلى ما دون الطباع الحيوانية ويطلق في دنياه نوازع النفس الأمارة بالسوء، تلك النفس الشرسة المتوحشة الفتاكة التي لا يمكن ردعها إذا تنفست هواء الحرية وانفلتت من أقفاص الأعماق الظلماء وقطعت لجامها وتفوقت على قدرات الذات في إحجامها ومنعها من التعبير عن غاياتها الإبليسية ونوازعها السوداء الحمقاء التي لا تعرف إلا القتل وسفك الدماء. الجهل هو الذي يرعى كل الموبقات وينمي حالات الشرور والهلاك ويقضي على بذور المحبة والخير والصلاح ويدفع بالبشر إلى مهاوي الجحيم الأرضي. الجهل هو المعوق الأكبر للبشرية، إنه مخرب الأديان والمذاهب والمدارس والمعتقدات، إنه عدو المحبة والخير وصديق حميم للكراهية والحقد والبغضاء.

وإذا امتلك الجهل حريته فأنه يتحول إلى مارد مروع يفتك بالعباد ويذيقهم شر العذاب ويكون تتارا مألوسا يصنع في أيامهم الويلات المتفاقمة ويدمر وجودهم ويطردهم إلى حيث لا يريدون وينمي المكاره ويقطع صلة الرحم ويبني عمارة الأحقاد المقيتة في الأرض الموجوعة. إن الجهل والحرية لا يتفقان، ولا يمكن للحرية أن تكون في مجتمعات جاهلة فيها أناس لا تعرف إلا أن تتبع وتطيع وترتع وتمضي خلف الفرد الذي قرر أن يستثمر جهلها لتحقيق غاياته الدفينة باسم الحرية. ولهذا فأن الحرية بكل مفاهيمها لا يمكنها أن تتحقق وتكون عامل سعادة للبشر إن لم تترافق بحملة ضارية ضد الجهل وأن يتم إخماد الشرور الكامنة في الأعماق الجاهلة وتهذيبها قبل الحديث عن الحرية وفوائدها ومعانيها السامية. وفي غير ذلك خداع للناس وتدمير للحرية، لأن النتائج التي ستترتب عليها في المجتمع الجاهل تكون قاسية ومؤذية. فالحرية ستطلق كل ما في جعبة الجهلاء من سلبيات ورؤى مؤذية للآخرين من حولهم.

وكلما ازدادت مساحة الجهل فأن الحرية ستعاني أكثر، ولكي نصنع مجتمعا معافى ومستفيدا من الحرية وممارسا لها بإنسانية راقية، علينا أن نقضي على الجهل أولا ومن ثم نبدأ بالحرية، لكي تتمكن الحرية من التعبير الصحيح عن نفسها وتساعد الناس على إطلاق قدراتهم وطاقاتهم في طريق تحقيق سعادتهم وقوتهم الحضارية والإنسانية.

إن تفاعل الحرية والجهل من أخطر عوامل الدمار البشري وهذا ما يحصل باختصار في بعض البلدان ويتسبب في تفاقم المشكلات والصراعات. جهل مرعب أسود يتفاعل مع حرية منيرة فيطفئ نورها ويقضي على أشعتها ويشيع الظلام الأبيد في أرجاء المدن والقرى ويملأ الطرقات بالدماء والأشلاء والخوف والأنين.

الجهل المتفاعل مع الحرية يحول البشر إلى وحوش تقودها أمارات النفس السيئة إلى حيث تريد أبالسة الشر والحقد والكراهية والضلالة والبهتان. الجهل الرهيب المتحرر يسعى في الطرقات مسلحا بأعتدة الفتك بالآخرين لا لشيء إلا لأن الجهل يأمر بذلك والحقد قد قرر ذلك والكراهية قد أملت على حامل السلاح أن يسفك دم الأحياء البشرية لأنها تتنفس الهواء.

إن دعاة الحرية والتقدم والتحضر والتطور قد أغفلوا عامل الجهل ودوره المعوق والمدمر في محاربة خطوات التقدم والتحرر. وقد فشلت دعوات الحرية بسبب الجهل المروع والأمية الشاملة التي تستعبد العقول وتصادر البصائر وتطلق الانفعالات المجنونة والعواطف المسعورة التي تتفوق على أعتى الوحوش في إفتراسيتها ودمويتها.

لقد أنفقت البشرية جهودا مادية وفكرية ومعنوية هائلة في تنمية الجهل وإشاعة التضليل بين البشر من أجل منافع كرسوية خسيسة وحاجات نفسية دنيئة خلاصتها حب السيطرة والقوة والمال، وأمعنت في سياسات ومناهج التجهيل البشري، مما أدى إلى حشر البشرية في كهوف الضلالة والعنف والبهتان.

الجهل مصدره إرهاق البشر بالحاجات اليومية ومصادرة عقله وعدم السماح له بالتروي والتفكر والتعلم، وإنما بحقنه بكل أسباب الشرور والإمعان في تغذيته بالمواقف والتفاعلات السلبية التي تخلق من الفرد البشري كتلة انفعالية نارية عمياء بلا عقل أو بصر، لا ترى ما تنظر ولا تعرف ما حولها، بقدر ما ترى في دياجير الجهل القابع في دنياها السوداء.

فالجهل حاضنة المساوئ والأحقاد وموطن الكراهية والبغضاء. والبشر الجاهل مفردة من مفردات التدمير الفتاك الذي يقضي على كل معالم الصيرورت الإنسانية في الأرض. وهو الذي يتسبب في كل ما يدور من احتقانات وتفاعلات دامية بين أبناء الوطن الواحد والدين الواحد. هذا الجهل لا تلجم جماحه إلا القوة والسلطة التي لا ترحم من يعبر عن جهله ويتمادى في إيذاء الآخرين. السلطة التي تقبض على الجهل من عنقه وتحاول بجد وعزم أن تلغيه من أعماق البشر وتضخ فيها النور والضياء والمعرفة والأمل بالحياة الواضحة الرحيمة الطيبة.

الجهل الرهيب سبب الأوجاع منذ البدء وإلى يومنا هذا. وهكذا ترى بسببه بشر يعيش تحت أكداس الويلات وسياسات التجهيل والجهل وأحزابهما ومذاهبهما ومدارسهما. الجهل لا غير هو الذي يسود ويخرب الوجود، ويحرق الحضارات ويمنع الرفود. الجهل صاحب راية البلاء والعناء والرقود. الجهل سيد المرارات والنكود.

و"الناس أعداء ما جهلوا" وتخيلوا عظيم ما نجهل وعظيم ما نعادي. فتمرغي أيتها الحرية الطيبة السمحاء في أوحال الجهل والضلالة والبهتان، واصرخي من براثن الأمية المنشوبة في قلبك الحزين!.

* عن صحيفة كتابات الإلكترونية.

عندما تصبح "لو" كل امانينا

علياء الانصاري*

لن اخاطبكم: ايها المسلمون، ايها العرب!!

لانها مصطلحات امست في واقعنا، لا معنى لها!!

ساقول، الى كل من له ضمير، او يستشعر شيئا من الانسانية في ذاته!

الى رجال العراق الذين تبرعوا بكذا مبالغ الى جنوب لبنان، واوقدوا الشموع الى اطفال لبنان، فاين هم الان من ضحايا العراق على ارض العراق!!

ساصرخ هذه المرة، لعل صرختي تسمع من به صمم!!

الارقام للمهجرين، النازحين، المشردين، سموهم ما تشاؤون... تجدوها في وزارة الهجرة والمهجرين، لا علاقة لي بها.

ما يعنيني كإنسان وكمواطن عراقي، هو حال هذه العوائل... لا ادعي اني اعرفها جميعا او رأيتها جميعا، ولكني رأيت مجمعا واحدا يقع في اطراف الحلة، في مدرسة خربة تساقطت على اثر القصف الامريكي في زمن السقوط، ولم يبق منها سوى اطلال تحكي تاريخا مضى!!

خمسة وستون عائلة، مئة وخمسة اطفال تضمهم هذه المدرسة، يغرقون الان بالامطار التي تهطل علينا رحمة من السماء.

هذه العوائل تقسمت على صفوف وغرف المدرسة المتهاوية، هناك من جاء ببعض اغراضه وهناك من لم يأت بشيء، تبرع المحسنون بما جادت به اياديهم!!

ولكن...

هناك مشاكل يعاني منها هؤلاء "المواطنون الفارون من بيوتهم، من مدنهم الى مدن اخرى بعد ان قتلوا ابناءهم، وهدموا بيوتهم او اخرجوهم منها بورقة تهديد"، تحت سمع وبصر وعلم الدولة وكل من يقف وراءها وامامها والى يمينها وشمالها، تلك الدولة التي عجزت عن توفير الامن لهم في بيوتهم، تعجز اليوم عن ترميم جدران متصدعة واسقف متهاوية لتمنع عنهم البرد والمطر!!

هؤلاء البشر يغرقون الان... عندما نستمتع جميعا بجدران بيوتنا ودفء اغطيتنا ونعومة السجاد تحت اقدامنا!!

هؤلاء البشر، باطفالهم... وامانيهم... وجراحاتهم... وامراضهم... وعذاباتهم، يموتون يوميا واعينهم تترقب قارعة الطريق، لعل سائلا يسأل عنهم او يمنحهم صدقة!!

انا اعرف ان الجميع قد تكالب للقضاء على هذه الدولة وعلى هذا الانسان... وان ميزانية الدولة وخططها في الاعمار و.... تسير وفق الخطط والمعادلات الروتينية وما الى ذلك من عبارات ومصطلحات، وان هناك مهم واهم واولويات...

انني اتحدث عن بقايا الانسانية في ذواتنا، اخاطب هذه البقايا... زوروا هذه العوائل وغيرها، فهي موجودة في كل مكان من حولكم. ومن يتعذر عليه الزيارة ارسل له صور تحكي له حكايا لألف ليلة وليلة لم يخلق لها قمر!!

لو تنازل كل واحد فينا عن شيء بسيط من كمالياته وشيء ابسط من طلبات اطفاله، ليؤدي واجبه تجاه هؤلاء البشر!!

لو خصص كل مسؤول في الدولة شيئا متواضعا من راتبه الشهري المتواضع، كواجب تجاه هؤلاء الذين اوصلوه الى ما هو عليه الان!!

لو امتنعنا شهرا واحدا عن شراء العطور وادوات الزينة والحلويات والمقبلات و...!

لما تساءلنا مستغربين: لماذا يحدث كل هذا على ارض العراق؟!.

* مديرة منظمة بنت الرافدين/ بابل

مجرد كلمة.. "الصحافة وفرسان الكلمة"

الحقوقي مكرم احمد البرزنجي

الصحافة عالم زاخر بالانفعالات والاحداث.. عالم متدفق يسابق الزمن لعل وعسى يصل لما يريد والصحفي أحد تروس هذا العالم المجنون عليه ان يتحرك بآلية ويقظة وأن يعطي ما يشبع مساحات الورق النهم الأكول، ان حرية التفكير وأتيان النتاج الكتابي الخلاق الحديث هي من الهناءات التي خلقها الرب لتكون فردوسنا الارضي وجنة عدن لعقلنا وفكرنا ثم الغذاء الخالد الذي به نقتات من دون ان نرتوي ولعلها تلك حكمة النهم الدائم الذي نحيا به ونسعد بأن يتعاظم فينا الجوع الى الابد لهذا الشعور من دون غيره نعيش نحن حملة القلم. لا شك ان الصحافة لها دور بارز في حياة الامم والشعوب وتسهم بشكل مباشر وفعال في عملية اغناء الثقافة ناهيك عن الدور الذي يؤديه ابناء صاحبة الجلالة من الذين يقدمون بطاقات شرف الولاء المقدس لها متخذين على عاتقهم تحمّل أعباء وتبعات نشر الحقيقة كاملة واسهامها الواجب في اكمال نصابها والاخذ على محمل الجد والمثابرة وليس بداعي المهاترة والتسويف في الابتعاد عن جادة الصواب واعتقد وانا من قراء جريدتنا العزيزة "بهرا" جازما ان هذا الرأي يؤيدني الكثيرون عليه كما لا يداخلني الشك ان فيه تكلف واصطناع وهناك من يدين بالفضل للصحافة من الذين عاشوا لأجلها وأعتاشوا عليها ان صح التعبير وتعمقت هذه النظرة لدى الأغلبية فكان لهم شرف خوض غمار هذا المضمار من المخضرمين واساطين الصحافة واعتبرها غاية مشرفة وهدفا نبيلا وحقيقة وضعها نصب عينيه.. بل واعتبرها غاية لغايات وهو يرى تلك النجاحات التي تحققت والاحلام الصغيرة تلك المشروعة بدأت تكبر شيئا فشيئا. ولا نجد غضاضة في القول في الاشارة الى نقطة بالغة الأهمية تشير الى حقيقة ان هناك ضعف وخلل جسيم يرتكبه البعض بحق صاحبة الجلالة وقد تجذر وتسرّب الى النفوس الى من أساء في تقديراته المهينة وأضر في امتهان المصلحة وحرفتها ومن ثم التقصير في اعداد الاجيال والنخب الصالحة واختيارهم واختبارهم كمنظومة اعلامية ناجحة وحيوية وتؤدي عملها وتؤتي ثمارها.

اذن فالحكمة في الكتابة هي من الجودة والنوعية وليست في الكثرة والكمية، فاذا استطاع الكاتب والصحفي من خلال حرفته ان يبدع ويثبت حضوره لجمهور القراء كما هو الحال لكتاب الجريدة العزيزة "بهرا" فله كل الخير وينبغي عند ذلك ان يعامل ويقدّر هذا الكاتب بأنصاف لا ان يهمل كتاباته لفترة طويلة دون وجه حق وان يحترم كلمته ونتاجاته كما هو المألوف فينا والا فليترك قلمه ويفسح المجال امام الآخرين للكتابة.

الموت السياسي
يزداد كلما نضجت الديمقراطيات

عصام خبو بوزوة - تلكيف

إن المراقب لنمو الديمقراطية في المجتمعات يسهل عليه اكتشاف العلاقة الطردية التي تربط بين ظاهرة الموت السياسي وبين اكتمال نضوج الديمقراطية وترسخ مفاهيمها لدى عامة الناس، أي تزداد نسبة الخارجين من مضمار العمل السياسي وتدخل الكثير من الأسماء اللامعة في طور النسيان كلما توسعت الحريات وتطور الوعي الديمقراطي لدى الناس وهكذا إلى أن تصل هذه التناسبات الطردية إلى مستوى معين لتصبح ضعيفة عند تلك النقطة أو تتوقف. فالقاعدة الأساسية هي خروج كل الدخلاء والضعفاء والبقاء لصاحب الحجة السياسية الأقوى لأن من يخرج من العمل السياسي كونه غير قادر على إثبات حضوره فهو يستحق الخروج، أما من لم تكن السياسة فنا من فنونه أو مجالا يظهر فيه إبداعه وعبقريته فهو دخيل عليها ولا يستحق البقاء تحت عناوينها.

وخير مثال على ذلك هو التجربة العراقية، فعدد الأحزاب السياسية اليوم والناشطون في هذا المجال ليس كما كان عليه منذ أن تنفسنا الصعداء بعد سقوط النظام، فهو بالتأكيد أقل بكثير بعد أن خاض العراقيون ثلاث تجارب ديمقراطية أثبتت أنه لا وجود للحزب المطلق والقوة الخارقة القادرة على تحقيق أعلى نسب النجاح.. وفي ذات الوقت لم تخصص مقاعد لمن لم يحقق الحد الأدنى المطلوب للوصول إلى البرلمان مع ترك المجال مفتوحا طبعا للعديد من الظواهر السلبية التي ستزول مع تحرير المجتمع كله ونضوج الوعي الديمقراطي لدى عامة الناس، وأولى تلك السلبيات استغلال العناوين والمسميات الدينية والطائفية من أجل حشد الأصوات للجهات التي اعتمدت على هذا النهج والتي نقطف اليوم ثمارها المتمثلة بالمذهبية والطائفية وبصراع قريب جدا من مسمى الحرب الأهلية.

ولكننا بالرغم من السلبيات لا زلنا نعيش في المراحل الأولى من العلاقة الطردية التي نحن بصددها الآن فالكثير من الأسماء التي اعتقدنا أنها ستحصل على عدة مقاعد وستمارس نفوذا قويا في السياسة العراقية لم تحصل على أي مقعد وخرجت خالية الوفاض، أما من أدرك حجمه الحقيقي وتنبأ بالطرق التي تمكنه من تحقيق أهدافه وأصغى لصوت العقل الذي دعاه إلى نبذ الخلافات أو على الأقل تأجيلها لكي تنجح التكتلات بين أخوة الوضع الراهن أو أصدقاء اقتضاء المصلحة أو الأعداء المتحالفون تحت عنوان الهدف الواحد.. فقد أثبت جدارته وحاز على نصيب وافر من مراكز السلطة وجمع لنفسه ما يكفي من الأوراق الضاغطة التي تمكنه من اللعب بكل سهولة. لكن هذا لا يمنع من تجدد المطالب الديمقراطية وتطورها بوثبات سريعة يتحول فيها ناجحوا اليوم إلى أكبر الخاسرين في الغد القريب إذا لم يطوروا أساليبهم في الوصول إلى المجتمع وقياس نبضاته الديمقراطية. فإذا كان العراقي في الانتخابات السابقة صوت لمن يمثله في الفكر والعقيدة والمذهب قد يتحول نفس العراقي ولأسباب اجتماعية واقتصادية إلى التصويت في الانتخابات القادمة مثلا لصالح جهة مخالفة تماما لكل ما كان يمثل دافعا له في المرة الأولى لأنه اختبر زيف الشعارات وضاق بحدوده المذهبية وأدرك مصلحته الوطنية العليا التي يجب أن تأتي في المرتبة الأولى هي ومن يدافع عنها بغض النظر عن طائفته ودينه وميوله السياسية سواء كان متحررا أو علمانيا أو متزمتا وعصبيا، المهم أنه وضع يده على جرح العراق وغير من سلوكياته وأطروحاته بما يتماشى مع مراحل النمو الديمقراطي وهذا يمكنه من البقاء ويبعد عنه شبح الموت السياسي لذا ليس بعيدا أن نعيش بعد عقود من ممارسة الديمقراطية في عراق موحد ومتحرر وله أحزاب كبيرة أو جبهات وتكتلات مكونة من حركات سياسية معروفة تعد على أصابع اليد الواحدة حاله في ذلك حال الدول التي نحسدها اليوم على ترسخ الديمقراطية في نخاع مجتمعاتها. ومن يدري ربما تتغير العناوين السياسية السائدة فلا يكون هناك ائتلاف شيعي أو جبهات سنية وتحالفات كردية بل تكتلات عراقية خالصة مائة بالمائة في عراقيتها وموحدة شعبيا في توجهاتها وارتكازها على قاعدة جماهيرية متنوعة ومنطلقة بصوت واحد إلى أبناء البلد لتوصل رسالة مفادها البقاء للأقوى في وطنيته وللأجدر في خبراته وللأصلح في تصرفاته وللأغزر في إنجازاته وإلا فالديمقراطية له بالمرصاد حتى تقضي على أنفاسه وتخرجه من حلبة السياسة العراقية.

عندما تباع الذمم

محمد ذنون

نطالع بعض المرات كتابات لبعض الذين ابتليت بهم السلطة الرابعة وهم يختلقون مواضيع لا أساس لها من الصحة وعارية من أي مضمون سوى ابراز أكاذيب رخيصة لا يتقبلها عقل ناضج غايتها الأولى تشويه الأصل الذي بنيت على أساسه الفكرة، حيث تنسج بعض الصحف ووسائل الاعلام الاخرى ولغايات دفينة ابراز هذه الأكاذيب وتصويرها للقارىء أو المتابع على انها حدث أصاب الحقيقة في مغزاه، وهي بالأساس اختلقت الموضوع وأضافت اليه الهامات الكاتب وزوايا الكاميرا لتستغل المتابع أو القارىء البسيط.

لكن هذه النتاجات الرخيصة لا تمر على جمهرة الواعين والمدركين للغرض والعارفين ببواطن الأمور والقارئين لما بين الأسطر والذين يعلمون وبكل تأكيد انها مجرد بالونات هواء أو سموم قبيحة تنشر لغرض التشويه ليس الا. فأصبح هذا التشويه في قلب الحقيقة سمة بارزة للكثير من الوسائل الإعلامية وابراز حالات ما انزل الله بها من سلطان ومختلقين اشياء لم تظهر في سماء الحقيقة وقد يندر وجودها. فهذه الاقلام التي تدفع بهكذا مواضيع غايتها ملء الجيوب وابراز العقدة التي تكونت في دواخل مريضة والتي هي بكل تأكيد بحاجة الى جراح ليستأصل الخبث الذي فيه.

فلم تكن وسائل الاعلام في يوم ما إلا وسيلة تنوير وبيان الحقيقة، ولم تكن الكتابة الا مجال تنوير ومعالجة السلبيات واعطاء البريق الناصع من الامور الجميلة خدمة للانسانية ولم تكن الكتابة ايضا مجرد تسفيط اقلام وابراز معان عالية التأثير ومجانية الالقاء بل هي مسؤولية اخلاقية اولا واخرا في ابراز الحالة المثالية التي شيدت على اسسها الأحداث.

لقد ابتليت وسائل الاعلام المختلفة بنماذج منبوذة تسعى الى الفساد في الأرض وتقديم امور رخيصة من اجل ملء الجيوب بأوساخ الدنيا وملذاتها الزائلة. وقد أثبتت بعض الصحف والفضائيات انها تعمل ضد العراق وضد شعبه، فهي لا تأخذ من العراق الا المناظر المؤلمة من جثث وتدمير بنية تحتية وكأن العراق كله ساحة لذلك، ناسية أو متناسية بعض الأجزاء الآمنة فيه وحرية الرأي ومقاهي الإنترنت التي كشفت للعراقي العالم اجمع وجعلته في حالة اطلاع على جميع المستجدات وفي لحظة الحدث، وعليها ان تبين ان الأحداث الساخنة زوبعة ستأخذ مداها ويعم السلام ارض السلام.

هذه هي رسالة الإعلام الأصيلة التي عليها ان تنقل الحدث دون رتوش من هذا او تلك ودون ان يتلوث بسموم هذا الكاتب أو تلك الفضائية. وعلى العراقي ان يعي هذه النقاط.. ان الحرب ليست بالطائرات والأسلحة الأخرى فربما كانت الكلمة المسمومة لكثر تأثيرا.